

(فانوس ديوجين)
الوجيز في الفلسفة - محمود يعقوبي-

شريف الدين بن دونه
باحث ب: قسم الفلسفة / جامعة وهران

يمكن القول أن الفلسفة هي المعرفة الوحيدة التي أخذت بعد الدين بَعْدَ مؤسساتياً، وامتلاك الدين كمنظومة ثقافية ومعرفية لسلطة المؤسسة عبر التاريخ له ما يبرره، لأن حاجة الإنسان إلى الاستقرار النفسي والسكينة، والخوف من المجهول الذي يكتنف العالم الآخر هو الذي يضيء على رجال الدين طابع السلطوية، تلك السلطة التي وجهت حركة التاريخ نحو المقاصد التي ترتضيها أو بالأحرى التي يشتهيها مالكيها، والمرجعية التاريخية لظاهرة السلطة ترجع إلى رغبة الإنسان في التوصل من خلال إيجاد علاقات تقام مع الآخرين إلى الحصول على خدمات الآخرين أو الظفر بطاعتهم (١). وعليه كانت المؤسسة الدينية في تاريخ جميع التجمعات البشرية هي المؤسسة السيادية الأولى .

أما مؤسسة الفلسفة في الثقافة الإنسانية عموماً، وفي اليونانية على وجه الخصوص في ظل التحديات الثقافية الكبرى التي كانت تسير البحث الفلسفي الحر دليل على عظمة المعرفة الفلسفية، العظمة التي تعود إلى شخصية الفلاسفة العظماء، فهم كما يقول عنهم كارل ياسبرس : ((مواطنو ملكوت روعي يتميز كل واحد فيه بأنه وحيد ، تام ، وهو برغم ذلك يتواصلون كلهم تواصلًا فكريًا، وقد أقاموا هذا التواصل إما بأنفسهم ، وإما بفضل عهد لاحق (٢).
..فالفلسفة هي المعرفة الأولية التي استنبتت الحضارة منها جذعها، ومن تراثها الفكري حياتها وحيويتها، والأكاديمية الأفلاطونية من أقدم هذه المدارس والمؤسسات التي اهتمت بتعليمية الفلسفة ، والتي سميت بذلك نسبة إلى بستان البطل اكاديموس، وكانت في الأصل معبدا لربّات

1 عبد الله ناصف ، السلطة السياسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1982 ص : 8 (د.ط)

2 كارل ياسبرس ، عظمة الفلسفة، ترجمة عادل العوا ، سلسلة زمني علما، منشورات عويدات بيروت ، الطبعة الرابعة

الشعر. وأضحت فيما بعد ملكا جماعيا للمدرسة أو للرابطة الدينية التي كانت تقيم احتفالات سنوية لربّات الشعر¹، ومنهاج التعليم الذي عرضه أفلاطون في كتاب ((الجمهورية)) وكتاب ((القوانين)) يؤكّد البعد التعليمي لمادة الفلسفة، وأهمية هذه المعرفة في تكوين المواطن الحر، فأسلوب الحوار المايوتقي الذي اعتمده أب الأكاديمية الروحي سقراط هو النموذج الأول الذي قامت عليها تعليمية أو ديداكتيكية الفلسفة فيما بعد، وتحديد المعارف المراد تقديمها لطلاب الفلسفة مع مراعاة التدرج في تقديم هذه المواد، وينقسم المنهاج في الأكاديمية إلى: (٠٠ قسمين رياضي Gymnastiks، يشمل جميع أنواع التمارين الجسدية والعسكرية، ابتداء من سن السادسة عشرة، وموسيقى، يشمل جميع العلوم العقلية على أنواعها ابتداء بالحساب، الهندسة والفلك، وانتهاء بالجدل في سن الخامسة والثلاثين، على أن محور الدراسات العقلية في المنهاج كان الرياضيات بمعناها العلمي (٠2)، وكما ينبغي الإشارة إلى أن تعليم هذه المعارف في الأكاديمية كان مجانيا، كما كان يفعل أستاذه سقراط، (فهما يتفقان في نقطة واحدة وهي التعليم بالمجان (3) .. فتعليم الفلسفة ارتبط بتلقين الطرائق، التلقين ((الذي يسبق الإقدام على الفلسفة - كما يقول الأستاذ الطاهر وعزيز - فقد أدرج أفلاطون في أكاديميته تمارين على المناهج العلمية وطرائق الجدال (4))

أما المؤسسة الثانية التي أضفت على المعرفة الفلسفية، طابعا تنظيميا وإداريا فقد كانت مع تلميذ أفلاطون، ومعلم البشرية الأول ارسطوطاليس الذي قام بتشييد اللوقيون أو الثانوية (Lycée) بالمفهوم المستعمل حاليا (في سنة 353 ق.م) بالقرب من معبد أبلون اللوقيوني⁵، ومن هنا سميت هذه المدرسة باسم اللوقيون، حيث (أشرف أرسطو ما بين 365 و323 على نشاط

1 إميل برييه، تاريخ الفلسفة، الفلسفة اليونانية، ترجمة جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط1987/2 ص: 130

2 ماجد نفري، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الأولى 1991 ص: 77

3 أحمد أمين، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية 1935 ص:

4 الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت ط: الأولى 1990 ص: 13

5 أي واهب النور

6 عبد الرحمن بدوي موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 - 1984 ص99

المدرسة الواسع ، الذي شمل تنظيم وتنسيق المعارف الفلسفية والعلمية وإنشاء عدد من المباحث الجديدة كان على رأسها علم المنطق⁽¹⁾، وقد كان لتعليمية الفلسفة حصة الأسد في اللوقيون الأرسطي ، فكان إلقاء الدروس يتم في صورتين إذ كانت الدروس ((مقسمة إلى قسمين :قسم صباحي وقسم مسائي .. ففي الصباح كان يطوف أرسطو مع تلامذته جيئة وذهابا في الرواق محاضرا في المواضيع الفلسفة العويصة كالمنطق والطبيعات والإلهيات ، أما في المساء فقد كان يحاضر في المواضيع الفلسفية العامة كالبلادة والسياسة ..)⁽²⁾ ، واعتقد أن المجتمع التربوي لم يصل بعد إلى تبني تعليمية أرسطو في انتخاب الوقت لتقديم بعض من الدروس التي تتصف بالعمق والصعوبة .. ويتضح من خلال هذا التأسيس النظري لتعليمية الفلسفة يظهر الإبداع في الفلسفة جليا الذي هو في حد ذاته تحدّ فكري يمارسه المفكر بأدواته الذاتية ، فقيمة النظرية الفلسفية لا يتحدّد في تاريخ الفلسفة بمضمون الفكر أو التصورات وقدرة الإجابة على الإشكاليات، بل تقيّم من خلال نسبة الحواجز والعوائق كما وكيفا، والتي تجتم على فكر الفيلسوف ، فقيمة التصورات التي أبدعها طاليس لا تمثل شيئا في التراكمية العلمية، بل عظمة طاليس تكمن في مواجهته وتجاوزه الفكر الميثولوجي الذي كبل الطبيعة الحرة لماهية الفكر البشري حقة ،فالفلسفة إبداع مع العائق ...

قبل التعرّض لمستوى الإبداع في كتاب الوجيه للأستاذ محمود يعقوبي، ينبغي الإشارة إلى موضوعة هيجلية وهي مسئلة تحدّد للباحث مؤشّرات الموضوعية، والتي تتعلّق بمقدمات التفلسف، والتي ما نصّها: ((إن التفلسف يستلزم درجة معينة من الثقافة العقلية ، والتفلسف بدأ عندما أصبحت الحياة المادية متوفرة فالفلسفة هي نشاط حر، غير نفعي ...)⁽³⁾ فأرضية التفكير أو التفلسف هي الجوانب الحضارية للمجتمع ، فالتراث الفلسفي اليوناني أو الروماني أو القروسطي (يهودي، إسلامي، مسيحي) نتاج للازدهار الاقتصادي والتجاري لتلك المجتمعات آنذاك..والحديث عن مقومات المجتمع الجزائري الحضارية وقابليتها لمخاض التفلسف حقلٌ قام

1 محمد الخطيب ،الفكر الإغريقي ،دار علاء الدين ،دمشق الطبعة الأولى 1999 ص : 192

2 ماجد نخري، ارسطوطاليس ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1958 ص : 11-12 (د.ط)

3 فريدريك هيجل ، محاضرات في فلسفة التاريخ ، ترجمة خليل احمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت ، ط: الأولى 1986 ص : 43

المستعمر الفرنسي بتلغيمه بكثير من المفاهيم والتصورات الثقافية الغربية عن الثقافة الأصلية ، لأن الحياة الثقافية للمجتمع الجزائري كانت أسيرة الثلاثي المشوم الذي هو الفقر، والجهل والمرض ، فالمعطيات الموضوعية تقرر عدم إمكانية الشعب الجزائري الذي كان يزرع تحت نير الاستعمار الفرنسي بناء فلسفة تربوية ، وعلى الأخص محتوى أو منهاج خاص بالفلسفة التي تهتز خوفاً منها العروش ، ولكن الإرادة الصلبة التي تمتع بها هذا الشعب، والأستاذ محمود يعقوبي من أبناء هذه الإرادة ذللت تلك العوائق ، وفككت تلك الألغام التي سيج بها المستعمر طرق التقدم أمام الشعب .. فوضع منهاج تعليمي لتربية وتكوين النشء لدولة حديثة العهد بالاستقلال، ليس من الأمور اليسيرة ، ويزداد الأمر خطورة إذا تعلق الأمر بالفلسفة ، فهي معرفة تحمل من الإمكانيات في الحقل السلوكي الفردي والجماعي، ما تنوء به العصبية ، وقد تكون هذه الإمكانيات في صيغة مفارقات ، حيث تكون أداة للتقدم والتحضر إذا كانت تخاطب في المواطن الوجدان والعقل .. وتكون أداة للاستغراب إذا كان المخاطب عندها هو الغريزة، العادة، الحمية والنعرات الإثنية .

المنظومة التربوية ومنهاج الفلسفة :

واجهت الجزائر بعد الاستقلال مشاكل عديدة من التخلف الاجتماعي، ومنظومة تعليمية أجنبية بعيدة كل البعد عن واقعها من حيث الغايات والمبادئ والمضامين حيث قامت السلطة بتنصيب أول لجنة وطنية لإصلاح التعليم في 15- 09 - 1962 والتي قامت بنشر تقريرها في نهاية سنة 1964 . وكان من أهم التوصيات التي وردت في وثائق هذه اللجنة مضاعفة الساعات المخصصة للغة العربية في كل المراحل التعليمية ، وذلك بإعادة النظر في لغة التدريس، كما أكدت على بناء المدارس في كل ربوع الجزائر تعميماً للتعليم وديمقراطيته ، ومن هنا برزت الأهداف الرئيسة والتي هي التعريب ، وديمقراطية التعليم .. وتمتاز هذه المرحلة أيضاً بتنصيب اللجنة العليا لإصلاح التعليم سنة : 1963/ 1964، والتي أعادت النظر في مناهج التدريس الموروثة واستبدالها بأخرى ، وأول نص تشريعي 1 على هذا المستوى قام بوضع المعالم والأسس القانونية للنظام التعليمي الجزائري ، وشكل الإطار التشريعي لسياسة التربية التي تركز على تأصيل الروح

الوطنية والهوية الثقافية لدى الشعب الجزائري ونشر قيمه الروحية وتقاليده الحضارية واختياراته الأساسية، تثقيف الأمة، بتعميم التعليم والقضاء على الأمية وفتح باب التكوين أمام جميع المواطنين على اختلاف أعمارهم و مستوياتهم الاجتماعية ، تكريس مبادئ التعريب و الديمقراطية و التوجيه العلمي و التقني، ضمان الحق في التعليم و مجانيته و إلزاميته.

تاريخ الفلسفة في الجزائر لا ينفصل عن التاريخ العام للفلسفة عند البشر، حيث أدرجت الفلسفة في التعليم الثانوي بعد أخذ وردّ نظراً لصعوبة التنبؤ بنتائج التفلسف، واتفق على تحديد محتوى ومضمون الفلسفة المراد تعليمها للريّة الجزائرية، فكانت فلسفة تريد القضاء على الهوية الوطنية والانتماء الحضاري للإسلام والعروبة ، إلا أن المفكرين الجزائريين قاموا بمواجهة هذا المنحى الجديد في الاستعمار..فوضعت الوزارة برنامجاً خاصاً للفلسفة ، كان يهدف بالدرجة الأولى إلى بناء المواطن الجزائري الحر، وزرع حب الوطن والإسلام والعروبة، فكان الأستاذ محمود يعقوبي بشخصيته المعرفية والأخلاقية أباً للفلسفة في الجزائر المستقلة ، وكان الوجيه فانوساً لأبناء ديوجين .. وديوجين Diogenes هو أحد تلاميذ سقراط،(.. كان مواطناً لسينوبي،وهي مستوطنة يونانية على شاطئ الأوكسينEuxine ..وقد عاش ديوجين حياة تماثل حياة الكلب في بدايتها مما أكسبه لقب الكلبى ..جاء الاسكندر ليزوره مرة، فسأله أن يبدي أية رغبة وسوف يحققها له .. فكان الجواب : ((لا تحجب عني النور)) (1)..وقصة ديوجين مع الفانوس تمثيل رمزي لدلالات فلسفية متعددة، منها: البحث عن الحقيقة في وضخ النهار باستعمال الفانوس يشير إلى غياب الحقيقة عند من يدّعيها، فالسؤال الفلسفي كما يقول آلان جيرانفيل Alain Giranville يُطرح على من يدّعي امتلاك المعرفة، وهي إشارة إلى إرادة الفلسفة في وضع نهايات لسلطة الدوجما المعرفية، كما نلّس في هذه الرمزية وجوب البحث عن الحق داخل المعتقدات السائدة التي يصفها ((برتراند راسل)) بقوله: أنها تتعجّل اليقين قبل أن تتوفر أسبابه ، فالحقيقة توجد عند من يبحث عنها ، ولا تنتمي بتاتا لأولئك الذين يدّعون امتلاكها كما يقول كوندورسيه .

الأستاذ محمود يعقوبي والفلسفة :

1 برتراند راسل ، حكمة الغرب ،ترجمة فؤاد زكريا ، الجزء الأول، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 62 / 1983 ص 162:

شكّلت الحياة الثقافية والأخلاقية للمجتمع الجزائري أهم الروافد المعرفية في شخصية الأستاذ محمود يعقوبي¹ ، حيث كانت الكاتيب والزوايا التي كانت تمارس وظيفتها الوطنية والثقافية، مصدرا رئيسا لجميع الشخصيات العلمية الجزائرية، كما أن القابليات والقدرات النفسية التي يملكها أبناء هذا الوطن جميعا - التي لم تستغل على أكمل وجه - تصلح أن تكون قاعدة للتقدم والرقى الحضاري ، ونجد في بعض الشهادات التوصيفية لشخصية الأستاذ .. يقول السيد وزير الشؤون الدينية بوعلام غلام الله: (كان الأستاذ محمود يعقوبي متفوّقا علينا ، وكنت أعود إليه في حل المسائل الرياضية الصعبة ..) ، ومما أشار إليه السيد الوزير حول شخصية الأستاذ الدراسات التي قام بها في جامع الزيتونة بتونس ، وفي دمشق ، في الكلمة التي ألقاها في 15 يونيو 2010 بمناسبة الحفل التكريمي الذي أقامته المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة على شرف شيخ المنطقة (محمود يعقوبي) .

بدأ مشواره العلمي والمهني مع مطع الستينات، حيث اشتغل أستاذا للفلسفة لطلاب التعليم الثانوي ، وعمل مع مجموعة من الأساتذة على تعريب الفلسفة التي كانت تدرس باللغة الفرنسية، فكانت معاناة الجميع أساتذة وتلاميذ في التعامل مع هذه المادة، ولم تكن طبيعة تلك المعاناة من سنخية واحدة بل متعددة المشارب ، أهمها نقص الوثائق التربوية والمصادر المعرفية التي يحتاجها المدرس في أداء مهامه التعليمية والتربوية فشمّر الأستاذ على فكره وساعده لتأليف كتاب الوجيز الذي حاول فيه سدّ الثغرات التي كانت تعاني منها المادة آنذاك ..

واصل الأستاذ يعقوبي مشوار البحث والدراسة، ولم يقف عند الحقل التعليمي للفلسفة في المستوى الثانوي، بل تابع مساره العلمي في الجامعة، محاضراً، مؤلفاً ، حيث قام بإثراء المكتبة الجزائرية بعدد من الدراسات في كثير من حقول الفلسفة ، فقد (..مثل أكثر من حقل في المعرفة فهو المنطقي الذي لا يضاهيه أحد فيه تأليفا وترجمة ، وهو المعلم والأستاذ المنظر في التعليم المؤسس لتعليم الفلسفة في الجزائر، وهو المجاهد المثابر في التأليف بلغة الضاد مترجما ومبدعا، وهو المنهجي الواقف على أبواب المعرفة طالبا حقائقها وتسليمها لغيره من طلاب علم

1 من مواليد 1931

وأستاذة (1)، حيث قام بتأليف كتاب في المنطق بعنوان : ((دروس في المنطق الصوري)) تلبية للنقائص التي كانت تعرفها المكتبة المنطقية خصوصا والمكتبة الجامعية عموما ، حيث يقول في مقدمة الكتاب : ((.. كما مكنتني ممارسة التدريس من الإحساس بحاجة الطلبة الماسة إلى وضع هذه الدروس بين أيديهم لكي يتخذوها منطلقا لإعداد دروسهم وأداة لمراجعة المقرر عليهم من المنطق الصوري بحيث تكون هذه الدروس مجرد محرّض على بذل المزيد من الجهد لاقتباس الآراء المنطقية من مصادرها الأصلية ..)) 2

الوجيز في الفلسفة والفلسفة:

من أوليات الموضوعية في البحث العلمي، تحديد دلالات المفاهيم والتصورات التي تشكل روح وجسد الدراسة، ومن بين التصورات التي ينبغي الاتفاق حولها قبل البدء في قراءة كتاب الوجيز للأستاذ محمود يعقوبي وهي الاتفاق على فهم وإدراك الغاية من التأليف ، فالكتاب لم يكن موجّها لأستاذة البحث العلمي في الجامعة الجزائرية بل كانت الشريحة المقصودة هي تلاميذ أقسام السنة النهائية ، وتوضح هذه الدلالة في قوله : ((إن الغرض من وضع هذا الكتاب هو توفير أداة يفتقدها المترشحون لشهادة البكالوريا (3) ، وإذا كانت الغاية عند نيقولا ماكيافيلي تبرر الوسيلة ، فإننا نجد الغاية مقيّدة ومحدّدة للوسيلة، وقد تصل إلى درجة أن تكون مقبرة لها، والوجيز في الفلسفة لم ولن يصل إلى المستوى الأخير من العلاقة ، بل يلاحظ في الكتاب تجاوز الأستاذ في بعض الأحيان للغاية من التأليف، التي حدّدها في مقدمة كتبه المدرسية ، وعلى سبيل المثال قوله في مقدمة كتابه المختار في النصوص : ((..وهذا لغرض تسهيل مادة الفلسفة ، وتطويعها لتدريس باقي المواد الأخرى ..)) ويبدو لنا هذا التجاوز في خاصية العمق والصرامة التي حايثت الكتابة الفلسفية للنظريات، فكتاب الوجيز موجه لنخبة من التلاميذ هم

1 لعموري عيش ، مداخلة: الأستاذ محمود يعقوبي عميد الفلسفة والمنطق في الجزائر، الملتقى الوطني : تدريس الفلسفة في الجزائر واقع وآفاق، قسنطينة

2 محمود يعقوبي ، دروس المنطق الصوري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط : الثانية 1999 ص :1

3 محمود يعقوبي ، الوجيز في الفلسفة ، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر الطبعة الثانية . 1980 ص 2

ذوي الكفاءة أو الأكفاء، فهو لا يساير المستوى الذهني للفئة التي تملك المستوى المتوسط، وهذا في الحقيقة ليس عيبا في المؤلف أو في المؤلف بل في كفاءة من يتقدم إلى امتحان البكالوريا دون زاد معرفي وقدرة على البناء اللغوي ودليلنا في ذلك عجز شريحة كبيرة من التلاميذ آنذاك في فهم استيعاب محتوى الدروس، واستحالة المتعلم أو المقبل الحالي على امتحان البكالوريا لدورة 2012 في فهم كتاب الوجيز، وعجزه عن استثمار المحتوى الثري والآليات المنهجية التي يستبطنها الكتاب، ورغم هذه الصعوبات التي اكتنفت الكتاب فقد كان سندا كبيرا لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي، بل وكان عوننا لأساتذة الفلسفة الوطنيين على اعتبار أن الجزائر لجأت إلى الاستعانة بكثير من أساتذة الفلسفة في تلك الحقبة من فرنسيين ومصريين وعراقيين ومغاربة بصورة عامة، كما نجد أن جميع الكتب أو البرامج التي جاءت بعد كتاب الوجيز لم تختلف عنه في هندسته، أو في مضمون الدروس التي ألفت بعده، فكان الأرضية الأولى للخطاب الفلسفي في المجتمع الجزائري .

البناء المعرفي والمنهجي لكتاب الوجيز :

يتضمن الوجيز قسمين أساسيين، قسم حول فلسفة العمل، يتكون من المواضيع التالية :
الانتباه والشعور ، الشعور والاشعور، الانفعالات، اللذة والألم، الهيجان، العواطف والأهواء، الميول والرغبات، السعادة، الإرادة، الطبع والشخصية، معرفة الغير والعلاقات بين الأشخاص، الفن والإبداع الفني، الأخلاق الضمير الخلق، المفاهيم الكبرى للحياة الخلقية، التجربة الأخلاقية، المسؤولية، الفضيلة، احترام الإنسان العدل والإخوة، الحقوق، الأخلاق والأسرة، الأخلاق والسياسة، العمل ومشاكله الاجتماعية، الحرية، الإنسان ومصيره، الوجود والقيمة).

تضمنت جميع هذه الدروس على مدخل مفاهيمي لأهم المصطلحات الضرورية واللازمة لفهم أهم الدلالات ، و الإشكالات التي عرقتها هذه القضايا ، كما ينبغي الالتفاتة إلى أسلوب النقد الذي استعمله الأستاذ في مناقشة المواقف، إذ يجمع في الغالب بين موقفين أو نظريتين في محطة المناقشة ، وهذا ما نلاحظه في الصفحة (17) من الباب الثالث وفي الصفحة (40) من الباب السادس ، وفي الصفحة (220) نلاحظ أن الأستاذ يضع مناقشة عامة للنظريات

المطروحة سابقا ، وأعتقد أن هذه الخطوة تأسيس لتعليمية فلسفية تمنح التلميذ حرية التعامل والمناقشة ، ولا تفرض عليه نمطا معيناً، وأسلوباً ساذجاً في النقد .

أما القسم الثاني المعنون بـ: فلسفة المعرفة فيتضمن المواضيع الآتية : (الإحساس والإدراك، الذاكرة، التخيل، اللغة، الذكاء، التفكير والتجريد، التفكير المنطقي الاستدلالي وقوانينه، المنطق الجدلي، المنطق الاستقرائي، التفكير العلمي، الرياضيات، منهج العلوم الطبيعية، العلوم البيولوجية، التاريخ، علم الاجتماع، علم النفس ، مبادئ العقل، نظرية المعرفة ومشكلة الحقيقة، الزمان والمكان، الروح والمادة ، الألوهية.

يلاحظ المنحى الكانتي (ايمانويل كانت) على التصنيف الذي انتخبه الأستاذ محمود يعقوبي في كتابه الوجيز ، فتصنيف المباحث الفلسفية إلى قضايا معرفية، وقضايا عملية ، أو فلسفة المعرفة ، فلسفة العمل ، تبلور مع الأثرين الذين أنتجتهما الفيلسوف الألماني ايمانويل كانت (Emanuel Kant)، وهما نقد العقل الخالص، نقد العقل العملي، كما يمكن القول أيضاً أن الأستاذ يعقوبي قد استمد هذا التصنيف من الثقافة الفلسفية الإسلامية حيث نجد الكثير من مثل هذه الإشارات عند فلاسفة الإسلام، فتقسيم الحكمة إلى نظرية، وحكمة عملية عند الشيخ الرئيس ابن سينا يؤكد أيضاً مرجعية التصنيف ، فالحكمة النظرية تضم العلم الطبيعي، والعلم الأوسط أو الرياضيات، والإلهيات 1 ، والقسم الثاني من كتاب الوجيز تعرض بالتفصيل لهذه المباحث مع مقدمات ضرورية .

قدم الأستاذ محمود يعقوبي كتاب الوجيز لهذين القسمين بمقدمة حول الثقافة والفلسفة وبخاتمة حول قيمة الفلسفة، تعرّض الأستاذ في التمهيد لمقدمتين ضروريتين من الناحية المنهجية ، فكان الباب الأول متعلقاً بتحديد شبكة المفاهيم التي يبني عليها المنهاج المقرر في تدريس الفلسفة ، وهي الثقافة ، التقنية، الفن ، العلم ، الدين، والملفت للنظر في التعامل مع هذه المفاهيم هو الدقة في الإشارة إلى الدلالات المتعددة التي تحملها المفاهيم ، مع الإيجاز في العرض.

1 عبد الامير شمس الدين ، المذهب التربوي عند ابن سينا ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، الطبعة الأولى

كما ينبغي الإشارة أيضا إلى الروح العلمية التي كان يتحلى بها مؤلف كتاب الوجيز، والتي تظهر في تسجيل وتحديد المراجع المعتمدة في كتابة الباب كما اصطاح عليه الأستاذ بالعربية أولا، وبالفرنسية ثانيا، وهذه الالتفاتة سجلتا لدينا ونحن تلاميذ في قسم النهائي الرغبة في الاطلاع، والبحث عن المراجع التي ذكرها الأستاذ، حيث استطاع من خلال ذلك التأثير فينا، وتوجيهنا نحو الفلسفة، نحو حب المعرفة، كما يمكن القول أن أساتذة الفلسفة المعاصرين هم أبناء ديوجين الجزائر، وتلامذة الوجيز.

الوجيز وتعليمية الدرس الفلسفي :

إن الأسلوب الذي قدمت به الدروس يستبطن الكثير من الآليات التربوية التي يحتاج إليه أستاذ الفلسفة، ففي الباب الأول الذي هو بعنوان الثقافة ومظاهرها نستشف الطريقة الحوارية اللازمة في تقديم الدرس، كما يمكن للمدرس بناء وتصميم المذكرة أيضا من خلال المضمون الذي يقدمه في دراسة مفهوم الثقافة، وهكذا دواليك.. فمصطلح الثقافة من بين المفاهيم الزئبقية في علم الاجتماع، والأستاذ يقدم المفهوم المتداول في صيغة مقتضبة مع تقديم آلية النقد، وسنسى إلى توضيح ذلك، وبيان مضمون وهندسة المذكرة التربوية للموضوع من خلال الفقرتين التي تعالج مفهوم الثقافة في الكتاب :

- ما الثقافة ؟

- مفهوم يحمل الكثير من الدلالات

- يستلزم تعدد الإجابة عند التلاميذ

- إجابة عامة وشائعة تميز إجابات المتعلمين (مستوى متوسط)

- ((الثقافة معناها..سعة الاطلاع على المشاكل وحلولها وكثرة المعلومات . لكن هذا

معنى عامي)1

- مناقشة ونقد لحجية التصور : ينشأ التصور العامي من حكم ضيق نابع من تجربة محدودة،

يقول : (عندما نناقش مع احد الأشخاص في موضوعات مختلفة ويدي فيها بآراء نستحسنها فإننا

نقول عنه انه مثقف .)

- اللجوء إلى علم الاجتماع في معرفة الدلالة ..

- اكتشاف إجابتين :

إجابة ألمانية : (...) في المقابلة التي أراد بعض المفكرين الألمان أن يضعوها بين الثقافة والحضارة ، فالثقافة عندهم تعني الأسس الروحية والتقاليد التي يقوم عليها المجتمع بينما تعني الحضارة حسب رأيهم الرقي العلمي والعقلي ونمو وسائل التأثير على الطبيعة وسيطرة الآلة . (2) - إجابة اثوغرافية : (. . . أغلبية علماء الاجتماع يرون أن الطابعين غير منفصلين بل لا يوجدان معا متشابكين في كل حضارة فتكون الحضارة على هذا الأساس كلا متكاملتا تتلحم فيه العناصر الروحية والمادية . (3) 1 الأستاذ محمود يعقوبي وتعليمية الفلسفة :

يمكن القول أن تشخيص علل العجز في مادة الفلسفة من المسائل الشائكة التي لازالت تطرح في الساحة التربوية وقد قدمت الكثير من الفرضيات التي حاولت تفسير هذا العجز، وقد كان للإرث التاريخي والثقافي للمجتمع الجزائري نصيبا من المسؤولية . . . وفي الحقيقة نجد أن هذه التبريرات التاريخية لا ينبغي أن تكون حاجزا أمام التقدم الفكري، وباعثا على الروح الانهزامية داخل الأوساط النخبوية ، بل ينبغي أن تكون دافعا للتحدي والتجاوز، والأستاذ وأمثاله من المفكرين الذين أنجبتهم الجزائر، نماذج للتحدي الذي كان مخاضا لهذه العوائق . . . يفترض البعض من المفكرين أن علل العجز في الممارسة الفلسفية في الجزائر ترجع إلى الفلسفة التربوية التي كانت تمثل جزءا من سحنة النظام السياسي، ذلك النظام الذي كان حديث العهد بالاستقلال ، والذي كان يواجه الكثير من التحديات الإقليمية والدولية، فانقسام المجتمع الدولي آنذاك بين ثقافة معسكرين شرقية وغربية ، ساهم في أدلجة المنهاج التربوي الذي لا يملك القدرة على تجاوز إستراتيجية النظام، فكان انعكاسا، ومخاضا طبيعيا للنظام السياسي آنذاك ، والأستاذ زواوي بغورة يؤكد على هذه المسألة فيقول : (. . . إننا نعتقد انه من غير الممكن فصل تدريس الفلسفة في الجزائر عن مختلف الاستراتيجيات التي رسمتها السلطة للمنظومة التربوية، كما لا يمكن استبعاد مختلف الصراعات حول السلطة، والتي تجد بعض مواقعها وآثارها في المنظومة التربوية، إن هذه القاعدة المنهجية هامة وأساسية بالرغم من

عموميتها، ورغم كونها لا تغنينا عن الدراسة التفصيلية لعلاقة المنظومة التربوية بالسلطة السياسية..))¹

لفهم فرضية الأستاذ محمود يعقوبي، ينبغي معرفة الشبكة المفاهيمية التي يؤسس عليها الفرضية التشخيصية للمحور الذي تعرفه تعليمية الفلسفة في الحقل التربوي ، فالممارسة الفلسفية تبنى على أربعة عناصر هي المعلم ، المتعلم ، المعلومة ، الكتاب ، فتضافر هذه العناصر الأربعة ضروري ولازمة لإنجاح العملية التعليمية ، فإسناد العلة إلى المتعلم وحده ضرب من الظلم والجور، فالمتعلم لا يمثل إلا عنصرا من العملية ، وأهم ركن في العملية هو المعلم أو المكون ، لأن ضعفه المعرفي أو المنهجي ينعكس على المتعلم، فالتلميذ ليس إلا مرآة تعكس معلّمه، ومما طرحه الأستاذ يعقوبي في مقال له حول مشكلة تعليم الفلسفة : ((إن الضعف المعرفي الذي كان شائعا بين جمهور أساتذة الفلسفة في التعليم الثانوي كان يحول بينهم وبين تحقيق الأهداف المرسومة لتعليم الفلسفة وهو ضعف في المعارف قبل أن يكون ضعفا في المنهجية، أما المنهجية فهي مجرد خطة ينظم بها المعلم مادته لا غير..))² ، كما يؤكد على مؤشّر آخر ألا وهو الضعف اللغوي عند الأساتذة المكونين ، لدرجة الخطورة ، حيث يشير إلى ذلك بقوله : ((ولدي من نتائج الوقائع المستقرأة، ما يحملني على الاعتقاد بأن ضعف المستوى يتفشى في أساتذة الفلسفة تفشياً يهدد سيرورة دراسة الفلسفة وتدريسها في التعليم الثانوي، وبالتالي في التعليم الجامعي³، ونلمس أيضا هذا التصور عند الأستاذ بغورة : ((...أصبح التأطير جزائريا بشكل كامل، وهذا في ظرف زمني قصير وسريع، وإذا كان من النتائج المباشرة لسياسة الجزائر فان له جوانب سلبية لا يمكن تجاهلها كالمحدودية في المعارف والنقص في التكوين وغلبة المعارف العامة على المعرفة الفلسفية ..))⁴ ، وفي مداخلة للأستاذ في افتتاح الملتقى الوطني الثاني

1 حسن حنفي وآخرون ، الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت الطبعة الثانية

2006 ص 378

2 محمود يعقوبي ، مشكلة تعليم الفلسفة ، مجلة المبرز ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة عدد 02 جويلية 1993 ص 73

3 المرجع نفسه ص: 76

4 حسن حنفي وآخرون ، المرجع نفسه ، ص : 381

1 الذي نظمتها المدرسة العليا للأساتذة بولاية قسنطينة بعنوان تدريس الفلسفة في الجزائر واقع وآفاق، انتقد فيها نوعية تدريس الفلسفة حاليا في الجزائر، وأكد على أن الأمر يتطلب "إعادة تأسيس جذري" للفلسفة تعتبر حاليا "ملجأ للطلبة ذوي المستويات الضعيفة" الذين لا يمكن توجيههم إلى شعب علمية، وهذه من القضايا التي يطرحها سوء التوجيه، إذ يعلل البعض ذلك بضرورة الالتزام بعدد الوحدات التربوية داخل المؤسسة، ولكن ينبغي إعادة النظر في سياسة التوجيه.. كما أشار الأستاذ إلى مؤشر آخر وهو المعلم، فالفلسفة في نظره تستدعي "كفاءة المدرّس" و"توفر الكتب المرجعية نوعا وكماً"، وأن يكون لدى الطالب الموجه إلى هذه الشعبة "مستوى جيد حتى يستطيع استيعاب الدروس"، وذكر في هذا الصدد أن طلبة شعبة الآداب هم الذين يوجهون حاليا إلى شعبة الفلسفة، في حين أن هذا التخصص "انبثق عن العلوم"، مضيفا أن "الفلسفة هي بنت العلوم وليست أمها حسب ما هو شائع". وشدد على أهمية "توفر مدرّسين ذوي مستوى عال" و"الوثائق كماً ونوعاً"، مشيراً إلى ضرورة "التحكّم في اللغة" عندما يتعلق الأمر "بدراسة أو تدريس الفلسفة".

وفي الختام يمكن القول أن الإصلاح الذي تعرفه المنظومة التربوية يسعى لتكوين مواطن فاعل وحر ومسئول، قادر على التكيف مع المحيط الذين يتفاعل معه، فالتعلم في الفلسفة التربوية الجديدة يهدف إلى تأهيل المواطن، من خلال تدريبه على بناء معارفه الخاصة، باستثمار كل الموارد والإمكانات التي هي متوفرة لديه، وانطلاقاً من جملة من المبادئ أهمها التعلم الذاتي وإدماج المعارف، وإنجاز المشاريع والتعاون، فالفلسفة كمادة دراسية هي المعرفة الوحيدة التي تملك القدرة على تجسيد هذه المفاهيم بدرجة عالية إذ تعدّ حدّ تعبير الأستاذ يعقوبي من أهم المواد التي تعمل على تفسير المعرفة تفسيراً عقلياً والتعمق في التحليل وتحريك الفكر وتحريره بشكل عام كما تعلم التلميذ كيف يفكر ويتأمل ويبحث، وتزرع فيه روح المقاربة والاستدلال والاستنتاج، ولن تتحقق هذه الغايات إلا بالعمل والمثابرة، كما ينبغي الإشارة إلى وجوب تكريس ثقافة احترام وتكريم الغير، بما هو أهل له..

وفي الأخير أتقدم بالتحية والشكر للأستاذ والأب الروحي لكلّ متفلسف في الجزائر.. شيخ
المناطق، ومعلم الفلسفة الأول لكل أبناء الجزائر.. ويبقى الوجيز ((فانوس ديوجين)) لكلّ
محبّ للحكمة .

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

محمود يعقوبي ، الوجيز في الفلسفة ، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر الطبعة الثانية .

1980

- دروس المنطق الصوري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، الطبعة

الثانية 1999

المراجع :

- أحمد أمين ، زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة اليونانية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،

الطبعة الثانية 1935

- الطاهر وعزيز ، المناهج الفلسفية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط : الأولى 1990

- إميل بريهيه ، تاريخ الفلسفة ، الفلسفة اليونانية ، ترجمة جورج طرايشي ، دار الطليعة

للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الثانية 1987

- برتراند راسل ، حكمة الغرب ، ترجمة فؤاد زكريا ، الجزء الأول ، عالم المعرفة ، الكويت

، العدد 62 / 1983

- حسن حنفي وآخرون ، الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام ، مركز دراسات الوحدة

العربية ، بيروت الطبعة الثانية 2006

- عبد الله ناصف ، السلطة السياسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1982 (د.ط)

- فريدريك هيجل ، محاضرات في فلسفة التاريخ ، ترجمة خليل احمد خليل ، المؤسسة

الجامعية للدراسات النشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى 1986

- كارل ياسبرس ، عظمة الفلسفة ، ترجمة عادل العوا ، سلسلة زدني علما ، منشورات

عويدات بيروت ، الطبعة الرابعة 1988

- ماجد نخري ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى

1991

- محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، دار علاء الدين ، دمشق الطبعة الأولى 1999

الموسوعات :

- عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،
بيروت الطبعة الأولى 1984

المجلات :

- مجلة المبرز ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة عدد 02 جويلية 1993

الملتقيات :

- الملتقى الوطني الثاني: تدريس الفلسفة في الجزائر واقع وآفاق، تنظيم: المدرسة العليا

للأساتذة قسنطينة ، 19/18 ابريل 2011